

المحاضرة رقم 6

نظريات التعلم 3

- النظرية البيولوجية-العقلية:

تسمى هذه النظرية بالفطرية، وكذا النظرية اللغوية، ويعدّ "تشومسكي" العالم اللساني الأمريكي رائد هذه النظرية، وقد اعتمد في بناء نظريته هذه على أفكار العالم الشهير "ديكارت"، وكذا أفكار النحاة الجدد وخاصة "فان همبولت". وقد كانت انتقاداته للنظرية السلوكية مثارا لهذا التيار الجديد الذي احتل مكانة بارزة في خضم الدراسات اللسانية المعاصرة، فقد رفض أفكار السلوكيين رفضا قاطعا، لأنّه يرى أنها قائمة على اعتقادات أولية وقاصرة عن تفسير الكثير من المسائل اللغوية، كما أن السلوكية غير قادرة على تفسير السلوك اللغوي، والعجز عن الوصول إلى البنى العميقة للغة.

لذا كانت نظرتهم تختلف عن السلوكيين، حيث ردّوا مسألة اكتساب اللغة عند الطفل إلى العقل، لأنّه هو القادر على تفسير ظاهرة اكتساب اللغة، فالعقل البشري بما يميّز به من قدرات جبارة فهو الظاهرة الفريدة التي لا يصعب عليها أمر مهما صعب. يرى "تشومسكي" أن هناك حقيقة عقلية تكمن ضمن السلوك، من أهم الأفكار التي جاء بها في نظرية الاكتساب اللغوي ما يلي:

- يكتسب الطفل لغة البيئة التي يتعرّع فيها، أي أنّه غير مهياً لاكتساب لغة دون أخرى.
- لا يكتسب الطفل اللغة فحسب، بل يمتلك كلّ ما تتيحه له بحيث يمتلك فنيات وتقنيات التواصل والتبليغ.
- يكتسب الطفل اللغة عبر سماع جملها ومحاولة النطق بها، فهو مستقل بذاته في مسار اكتسابه للغة، بحيث لا يحتاج لمن يلقّنه إيّاها.
- يتم اكتساب بنى اللغة على نسق واحد بالنسبة لجميع الأطفال الأصحاء، أي غير المصابين بعاهة ما تحوّل نموهم الطبيعي، ونركّز هنا على صحّة العقل.
- ينطق الطفل السويّ في حوالي السنة الأولى من عمره بكلمات مفردة غير منظمة في نسق تركيبى، وفي السنة والنصف إلى السنتين يعمل على تركيب هذه الكلمات في جمل مكوّنة

من كلمتين أو ثلاث كلمات، وأما في السنة الرابعة يمكن أن نقول إنه قد امتلك بنى لغته بمجملها.

وبناء على هذه النقاط يمكن القول بأن "تشومسكي" يرى أن الإنسان مزود بقدرات تميّزه عن غيره من الكائنات، وأنّ أعظم هذه القدرات قدرته على الكلام والتواصل عبر نظام معقد ومنظم يدعى اللغة، والتي تعتبر صورة معبّرة عن مدى تطوّر وتعقيد العقل البشري. انطلاقاً من هذه الأفكار يستلهم "تشومسكي" فكرتها القاضية بكون الجانب الإبداعي للعقل البشري، وجملة المبادئ العقلية قادران على تفسير مسارات وآليات الاكتساب اللغوي بحيث يرى أن الطفل يولد وهو مزود بقدرات فطرية تمكّنه من تقبل المعلومات اللغوية، ومن ثمّ بناء وتكوين بنى اللغة.

استطاع "تشومسكي" أن يقدم نظرية تفسّر عملية اكتساب الطفل للغته باعتبار هذه العملية التي هي في جوهرها عملية ذهنية معقّدة، بحيث يسعى لا شعورياً إلى اكتشاف النظام الذي يحكمها حتى يبنّي تنظيمه اللغوي، وذلك بالاستناد إلى عمليات ذهنية تتماشى ونموّه الإدراكي، بالإضافة إلى المادة اللغوية المحيطة بقواعده الخاصة، وبهذا يشكّل قواعده الخاصة التي تتيح له التواصل مع أفراد مجتمعه، ويرى "تشومسكي" اكتساب الطفل للغة مرهون باكتشافه لما يشكل نظرية عميقة ومجردة تتمثّل في النحو التوليدي.

ومما سبق ذكره نستنتج أن "تشومسكي" يرى أن الاكتساب اللغوي قائم على توصل الطفل إلى اكتشاف الأدوات التي يبنّي من خلالها نظريته الخاصة، أو نحوه الخاص الذي يكون - بطبيعته - غير مطابق للغة الكبار أو نحوه في بادئ الأمر، وسببه قلّة معطياته، وتدني نوعيته دليل على أن الطفل غير مزود بأي معلومات مسبقة حول هذه اللغة بعينها، أي أنه قادر على اكتساب غيرها...، فهو مهياً لاكتساب أية لغة إنسانية انطلاقاً من المادة اللغوية المتوفرة في بيئته بكل ما يعترضها من نقص، ويرى "تشومسكي" أن الطفل مزود بما سمّاه بالكليات، وهي قواعد مشتركة بين اللغات الانسانية.

وقد وضّح "مارك ريشل" هذه العملية - الاكتساب اللغوي - بقوله: يتكرّر الطفل التمييزات ويقوم بتطبيق الفرضيات، ويمتلك نظرية لغوية معقدة ويقوم بتطبيقها، وسماع الطفل اللغة التي يكون بإزاء

اكتسابها يجعله يكشف تدريجيا أن الفرضيات التي صاغها قد تتوافق مع معطيات اللغة، وقد لا تتوافق وإيّاها، فيقبل وبصورة لا شعورية فقط تلك التي تتيح له اعتماد التفسيرات الصحيحة حول اللغة الهدف، وفي هذه المرحلة يمكن القول إنه قد امتلك قواعد لغته.

خصائص النظرية العقلية: من أهم خصائصها العامة:

- هناك حقيقة عقلية تكمن ضمن السلوك.
- كل أداء فعلي للكلام يخفي وراءه معرفة ضمنية بقواعد معيّنة.
- اللغة هي نظام اتصالي مفتوح غير مغلق، كلّ من يكتسب هذا النظام يكون بإمكانه إنتاج جمل لم يسبق له استخدامها وسماعها وفهمها فهما جيدا.

أهم مبادئ النظرية العقلية:

- **اكتساب اللغة:** هذا المبدأ دحض به "تشومسكي" الفكرة التي كانت سائدة عن السلوكيين، وهي: التمثيل القياسي لملاحظة أنماط الجمل الحاصلة من التعبيرات التي يسمعها الطفل ويفهمها، وهذا ما يفضلُه أنصار هذا المذهب، معلنا هذا العالم بأن: اكتساب المعرفة اللغوية يعتمد على نموذج فطري خاص بالإنسان دون غيره من الكائنات، حيث نادى هذا العالم بأن الطفل يولد مزوّدا بقدرات فطرية تؤهله لتقبل المعلومات اللغوية، ولتكوين بنى اللغة، أي أنّ له قدرة على تكوين قواعد لغته من خلال الكلام الذي يسمعه، فهو يمتلك بطريقة لا شعورية القواعد الكامنة ضمن المعطيات اللغوية التي يسمعها.

- **فطرية اللغة:** "أي أن اللغة ملكة: تعتقد هذه النظرية بأن اللغة تتركز على مخزون غني من المبادئ والأفكار الفطرية، أين تمّ الربط بين عملية الاكتساب والنضج البيولوجي.

- **النحو العام "النحو الكلّي":** ويقصد به أنّ المتكلّم يعرف مجموعة من المبادئ العامة التي تنطبق على كل اللغات، وعلّل تشومسكي فكرة النحو العام بالسهولة التي يكتسب بها الأطفال اللغة الأم، وهذه القواعد الكلية هي التي تقوم بضبط الجمل المنتجة كما يختار هذا المتكلم من القوانين اللغوية ما يتصل بلغته من قواعد وقوالب، وهذه الأطر الكلية العامة الموجودة في ذهنه متساوية عند جميع

البشر، وتكون في الإنسان منذ ولادته، ثم يقوم بملئها بالتعايير اللغوية من المجتمع الذي يعيش فيه، فتتضح وتقوى بالتدرج.... وهكذا بطول الوقت وكثرة التجربة والتواصل يزداد نموّه الداخلي التنظيمي للقواعد الكلية في ذهنه.

– **القدرة اللغوية/ الأداء الكلامي:** القدرة هي معرفة الإنسان الضمنية باللغة، أو هي بالأحرى معرفة الإنسان الضمنية بقواعد اللغة التي تقود عملية التكلم بها، أي القدرة على إنتاج الجمل وفهمها، وهذه القدرة تمتلك القدرات التالية:

- إنتاج عدد لا حدّ له من الجمل وإدراكها من الناحية الفطرية.
- تمييز الجمل الصحيحة من غيرها.
- فهم الجمل.
- تمييز الجمل التي يكون بعضها صياغة جديدة للبعض الآخر.
- **إبداعية اللغة:** ويقصد بها القدرة التي تجعل أبناء اللغة الأم قادرين على إنتاج وفهم عدد غير محدود من الجمل التي لم يسمعوها من قبل، وتحكم هذه السمة ثلاثة عناصر هي:
- الاستعمال الطبيعي للغة، وهو استعمال تجددى أي القدرة على توليد وفهم الجمل.
- تحرر المتكلم من المثيرات في استعماله للغة.
- التماسك بين الاستعمال اللغوي وظروف التكلم أي القدرة على إنتاج المنطوقات الملائمة للموقف.

التعلّم وفق النظرية العقلية:

- دافع "تشومسكي" وأتباعه عن فكرة فطرية اللغة، وحشدوا العديد من الحجج المبرهنة على صحّة منطلقاتهم منها:
- ارتباط السلوك اللغوي بالنواحي التشريحية الفيزيولوجية للفرد.
 - مراحل اكتساب الطفل للغة، إذ كلّ البشر يمرون بهذا الجدول الزمني الدقيق وبالكيفية ذاتها.
 - صعوبة وقف تطوّر اللغة عند الطفل، كما لا يمكن تعليم هذه اللغة لغير البشر.

